مصائف الجبال

□ كل الجبال في الدنيا مشوقة للصعود والوصول إلى ذرواتها العليا وقممها المحصنة، فهي أول من تصافحها الغيوم وتقبلها النجوم وتباشرها السحائب بأولى قطرات الأمطار، فالشاعر التونسي كان على حق في قوله عن الطموح : «ومن يتهيَّبْ صعود الجبال ... يعش أبد الدهر بين الحفر»، لهذا تستأثر أعالي الجبال بنسبة أكبر من سياح المغامرة ومحبي التسلق والطيران الشراعي، ومنهم من يروم الصعود لدراسة شواهد الآثار ومعالم الماضي الغابر كعلماء الآثار والتاريخ أو البحث عن بقايا حيوانات أو ديناصورات متحجرة عند علماء آخرين وغيرها من الدراسات العلمية عند الجيولوجيين والجغرافيين.

عبدالقادر الشيباني

وطبيعة الأرض اليمنية جبلية بنسبة أكبر مقارنة بالهضاب والقيعان والأودية والصحارى والشواطئ فيها، إذ تتراوح المرتفعات الجبلية فيها من (١٠٠٠) متر إلى (٣٧٦٠) متراً عن منسوب سطح البحر، لهذا فإن الأوائل من الأجداد كانت لهم حكمتهم عندما حلّوا واستغلوا هذه الجبال وحصونها لصالح تجمعهم السكاني كأحسن ما يكون، فاتخذوا من المطالع الجبلية طرقاً مرصوفةً مدرجةً لإيصالهم ومواشيهم إلى مساكنهم في حصونهم، فالحصون قديماً كانت تحميهم من مباغتة العدوان، لأن غالبية الحصون في اليمن محصنة طبيعياً من كل الجهات، ولا يتم الدخول إلى الحصن إلاّ عبر بوابة واحدة تفتح وتقفل، فنجدهم مكتفين ذاتياً مما يحصلون عليه من الحبوب يدفنونها بمدافنهم الخاصة المنجورة في أصل الحصن ويحفرون مواجل وكروف لاستقبال الأمطار في مواسمها، فإذا طاف أحدكم بلداناً كثيرةً من المشرق والمغرب سيجد أن نسبة كبيرة من الدخل القومي من السياحة الجبلية التي عمت فيها أنواع المنشآت السياحية والمراكز الترفيهية والاستجمامية والمشافي الصحية، خاصة إذا وجدت فيها عيون مياه معدنية للسياحة العلاجية ونماذج من الشاليهات الجبلية أو الموتيلات واتصالات ومواصلات لا تنقطع.

وأضرب لكم مثلاً بجبل من جبال اليابان هو جبل «فوجي» الذي يقع على بعد (٥٠) ميلاً إلى الجنوب الغربي من طوكيو، فهو يستأثر بحوالي (٢٠٠٠٠٠) متسلق سنوياً أو أكثر، فكم يا ترى سيبلغ عدد سياح المغامرة والتسلق إذا ما خلت جبالنا وحصوننا الشائقة من المنشآت الحكومية التي تهدمت وتخربت بسببها الكثير من المباني والحصون، فإذا أتينا إلى إحدى محافظات الجمهورية كم سنجد فيها من الجبال التي تفوق عدد جبال الوطن العربي ومواقع الحصون التاريخية فيها، فمحافظة صعدة وحدها فقط سنجدها تضم سلسلة طويلة واسعة من الجبال ذات الطبيعة الساحرة والجمال الأخّاذ، منها تبتدئ من الجنوب بجبال خولان بن عامر وتعلو منها إلى (٢٨٥٠) متراً من سطح البحر، وكل مجموعة من هذه الجبال تنقسم إلى سلسلة جبلية متواصلة كسلسلة جبال جُماعة التي فيها جبال عَنَم وجِبال شام والدربين والجبل الأسود وقطابر وجبل مَرِع وجبل أم ليلى الأثري وهو صعب المرتقى وجبل العر ومنبّه.

وهكذا تنقسم كل مجموعة إلى سلسلة مثل جبال جُماعة الشرقية وجبال رازح وجبال سحار وجبال همدان بن زيد، من أشهرها جبل براش الهرمي المطل على وادي دماج من الجنوب الشرقي وجبل الأعمار وجبل وائلة والعمالسة ثم جبال العشة أو العشاش.. فكيف إذا أتينا إلى المحافظات الأخرى مثل حجة أو المحويت أو ذمار أو لحج أو أبين أو إب وغيرها، فالمرتفعات الجبلية في اليمن وما فيها من مآثر ودرر تاريخية وأطلال تمثل مساحة واسعة من البلاد، فالمرتفعات الجبلية الغربية – مثلاً – تمتد من الشمال إلى الجنوب طولاً، وهي السلسلة المسماة بجبال السراة، ثم تمتد من الغرب إلى الشرق عرضاً، تنحدر هذه المرتفعات إلى اتجاهات مختلفة، ونجدها تنحدر بشدة إلى الغرب صوب البحر الأحمر وإلى الجنوب صوب خليج عدن وإلى الشرق والشمال صوب المناطق الداخلية الصحراوية.

محافظة صنعاء – على سبيل المثال – أشهر الجبال المرتفعة فيها في منطقة بني مطر هو جبل «النبي شعيب» الذي يعرف بجبل حضور «الرأس» ويرتفع (٣٧٦٠) متراً فوق سطح البحر، ولعله الجبل الوحيد الذي تنزل عليه الثلوج في بعض السنوات، تستمر لمدة شهر أو أكثر، وهو جبل مشوق للصعود، وجبال أخرى ذات سمات سياحية، فالتي منها خلت من المنشآت الحكومية يصعد إليها كثير من المواطنين والزائرين يومياً، وتجد السياح الأوروبيين يتسلقون إلى أعاليها بكل حب ومغامرة مثل حصن «بَيح» بحراز وحصن شبام المطل على مناخة وحصن شقروف جنوب شرق قرية الهجرة، ومن أشهر الجبال في تلك المناطق من حراز جبل «مسار» الذي كان مركزاً للصليحيين، فقد سكنه علي محمد الصليحي، وفيه بدأ دعوته في القرن الحادي عشر الميلادي، إضافة إلى جبال شائقة تستزار يومياً كجبال صعفان غربي جبل مسار، لهذا فإن أكثر الزوار القادمين من الخارج لابد من زيارتهم إلى شبام وحصن جبل كوكبان والمبيت فيه، مهما كان الطقس بارداً، فإن كوكبان هي ملتقى مجموعات السياح في المواسم المعتادة، فأبشروابسياحة أخرى مزدهرة جبلية أقوى من السياحة الساحلية البحرية، إذا ما تم الاهتمام بها وفتحت أبوابها للزوار والباحثين.

التضامن والمصير العربي الواحد.. الرؤية والهدف

سالم شيخ باوزير

● كشفت الأحداث المريرة والمتفاقمة التي تواجه الأمة العربية والإسلامية، وما زالت مروراً بنكسة حزيران/يونيو ١٩٦٧م والهجمة الصهيونية الشرسة، ومسلسل مايسمى بالارهاب وافتعال الأزمات والذرائع والحرب على العراق الشقيق بدعوى السلاح الشامل المزعوم، وتحويل سيناريو التحرير إلى احتلال أمريكي عسكري وسياسي إضافة إلى حملة الإبادة المنظمة الجماعية التي تقوم بها قوات الاحتلال الإسرائيلي ضد الشعب الفلسطيني لإخماد لهيب الانتفاضة والمقاومة الباسلة التي أثبتت قدرتها الفائقة في اختراق العمق الإسرائيلي هذه الأحداث وغيرها كشفت بعنف ومرارة معطيات تؤكد على ضرورة وحتمية التضامن العربي، ووحدة المصير العربي الواحد والتفكير جلياً بوضع قضية التضامن العربي مكان الصدارة وعلى محمل الجد ومن أوليات العمل العربي المشترك تحت قيادة الجامعة العربية ولابد من ظهور مؤشرات حقيقية على هذا الطريق وفق رؤية وهدف عربي كضرورة تاريخية لمواجهة التحديات الراهنة والمخططات العدوانية التي تهدد الأمن العربي وهذا يتطلب الارتقاء إلى الواجهة الأساسية أكثر من أي وقت مضى وتجاوز الخلافات الثانوية للوصول إلى الهدف الرئيسي لدرء مخاطر الصهيونية والهيمنة العالمية على المقدرات العربية والتصدي للمخططات الرامية تشويه الحضارة العربية والإسلامية وبالتالي الحفاظ على الخارطة الجغرافية العربية من التمزق وعلى الثروات النفطية من النهب والاستحواذ وتبني الإصلاحات السياسية الداخلية بعيداً عن أية وصايات أو فرض قسري وما يحمله مشروع الشرق الأوسط الكبير من تدخل سافر في الشئون الداخلية للدول العربية، بما في ذلك المناهج المدرسية المستوحاة من قيم ومثل تاريخنا العربي وديننا الإسلامي الحنيف.

ولعل مايجري على المسرح العراقي ومنذ عامين تقريباً وحالة الفوضى الأمنية والسياسية والتدهور الاقتصادي والمعيشي يدخل في نطاق استراتيجية الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م لمكافحة مايسمى بالإرهاب، والحفاظ على أمن إسرائيل باتجاه قيام الدولة الإسرائيلية الكبرى وهذا مادعا الولايات المتحدة الأمريكية إلى تدويل الاحتلال للعراق وإنشاء السفارة الأمريكية، وتأتي بعدها إجراءات أخرى في ضوء ماستسفر عنه الانتخابات العراقية القادمة.

ولا يفوتني هنا التذكير مادأبت على تحقيقه القمم العربية والإسلامية الأخيرة في مد جسور التواصل العربي وإنهاء الفوارق وإذابة الجليد وإعادة العلاقات الحميمة العربية – العربية على طريق تعزيز التضامن وإعادة الدور الحقيقي لأمتنا العربية والدفع بما نحو خلق استراتيجية التضامن العربي الفاعل كامتداد للدور العربي الإسلامي عبر الفتوحات الإسلامية العظيمة، حيث أمكن القول إن هناك بصيصاً بدأ يظهر في الأفق لتحقيق الاصطفاف العربي وتوظيف القدرات العربية الهائلة لتحقيق الآمال والأماني العربية الواحدة حتى يظل التضامن العربي الهاجس العام أمام الأنظمة العربية على اختلاف مشاربها وأنظمتها وتفعيل وتجديد قرارات القمم العربية السابقة دون التفريط بالأهداف والمضامين المجسدة لتطلعات أمتنا العربية والإسلامية، ودعم نضال الشعب الفلسطيني في تحقيق دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، وتحرير كل الأراضي العربية المحتلة.

ومن المفيد هنا الإشارة، وبكل فخر واعتزاز، إلى تجربة اليمن في تحقيق الوحدة عام ١٩٩٠م هذه الوحدة التي تجذرت قواها، وحققت وجوداً يمنيا وحدوياً حقيقياً، ومثلت النواة الأولى لوحدة عربية شاملة.

مبادئ إنسانية «نظرة بعين القلب»

هايل المذابي

■ يحكى انه كان هناك رجل هارب من وجه العدالة وكان الحكم قد صدر عليه بالإعدام وعندما كان يبحث عن مكان للاختباء وجد قطارا فاستقله ولم يجد مكانا يختبيء فيه إلا ثلاجة ذلك القطار وبينما كان بداخلها ظل يحدث نفسه بأنه سيموت وانه سيتجمد من البرد وظل يردد هذا الكلام مرارا على نفسه ويقول انا سأتجمد ..انا سأموت ..انا سأتجمد.. انا سأموت.

وعندما جاء الصباح وجد ذلك الرجل ميتا وبعد تشريح جثته وجدوا أن جميع اعصابه قد تجمدت وأن سبب وفاته هو شدة البرد.

ليس المهم كيف مات ذلك الرجل بل المهم هو أن ثلاجة ذلك القطار كانت معطلة.

ماالغاية من هذه الحكاية؟؟

سنقسم هذه الحكاية إلى محطتين وسنقوم بتحليل كل محطة على حدة وفقا لنظريات ورؤى فلسفية ومنطقية ونفسية.

لنبدأ بالمحطة الاولى وهي هروب ذلك الرجل من وجه العدالة وتحوله من انسان عادي ، مسالم ...الى مجرم خطير..

ان الرغبة الدائمة الملحة على الانسان هي رغبة الوجود وكل مغامرات الانسان الطويلة ليست في اقصى غاياتها إلا طريقا لتحقيق وجوده واثبات ذاته ومن ثم لإدراك معنى هذا الوجود وقد اخذت هذه المغامرات اشكالا مختلفة فهي تتمثل مرة في البحث عما نسميه الحقيقة واخرى في البحث عن الله، وثالثة في محاولة تفهم ما النفس، واذا نحن ترجمنا هذه المحاولات في اطار اعم امكننا ان نتمثلها في علاقة الانسان بالكون وعلاقته بالله وعلاقته بالانسان نفسه، ويتفرع عن هذه العلاقات كل المواقف الثانوية... من النظر في الحياة والموت في الحب والكره في الخلود والفناء في الشجاعة والخوف في الخصب والامحال في النجاح والفشل في العدل والظلم في الفرح والحزن وكل هذه المعاني مستقرة في الضمير الانساني، وقد استقرت فيه منذ وقت مبكر منذ أن تبلورت التجربة الانسانية في العقيدة الدينية، لقد استقرت في ذاكرة الانسان التي تكونت عبر العصور وانطبعت آثارها من ثم في عاداته المجتمعية..

يقول محمد تقي المدرسي احد المناطقة العرب:

إن السؤال الكبير الذي يرتسم امام الفلاسفة والعلماء معا هو البحث عن جذور كل غريزة في نفس الانسان وهل ان لكل واحدة منها جذرا مختلفا عن الأخرى أم أن الغرائز تلتقي عند جذر واحد..

ان النظر العميق يهدي الى وحدة الغرائز السيكولوجية، بمعنى انها نابعة من جذر واحد هو حب الذات ورجاء الخير لها والخشية عليها من الشر، بيد أن هذه الوحدة السيكولوجية لاتتنافى مع الاختلاف الفسيولوجي والبيولوجي لها، بل نستطيع القول ان كافة الشهوات تعود الى غريزة واحدة، فهناك مثلا حب السيطرة وطلب الشهرة.

والحياء من الناس واتباع العظماء واتباع الوالدين والاقربين.

انها تعود الى ذات الغريزة والمجتمع الواحد، اذ ما من عمل غريزي يقوم به الإنسان إلا بسبب اعتقاده بأنه يقوم بصورة مباشرة أو غير مباشرة بإشباع احدى غرائزه الاولية . والمرء يتبع جماعته خوف تفرده – لدى انفصاله عنها وبالتالي حرمانه من منافع الجماعة ورجاء المزيد من ذلك؟؟

والرجل يتبع نهج الصراع الطبقي ضد طبقة اخرى خوفا من حرمانه من أكله وأمنه ورجاء في الحصول على المزيد من اشباع الجوع وتوفير الامن.

من هنا نستخلص أن المسألة هي مسألة احساس بالانتماء وتحقيق وجود واثبات ذات وتأكيداً للكلام المذكور سابقا سنضرب مثلا وهو الشاعر عنترة بن شداد الذي قام بكل بطولاته ومعاركه سعيا لرضى قومه عنه ومحاولة منه لتحقيق مكانة له بين قومه وبغض النظر عن الاسباب، فالشاعر هذا رأى ان اثبات ذاته وتحقيق وجوده لايمكن ان يتم إلا بانضمامه الى القبيلة وهذا المثال يوافق ماقاله المؤلف محمد المدرسي وقد أوردناه آنفا.

ولكن الامر قد يصبح عكسيا فإحساس الفرد بالانتماء وهو بين قومه وعشيرته يدعوه الى الانفصال والتمرد عن هذه القبيلة أو العشيرة أو المجتمع.

لماذا؟ بل من اجل ماذا؟؟

انه بكل تأكيد من اجل اثبات الذات وقد تختلف الطريقة أو المنهج الذي يسلكه الافراد لتحقيق ذواتهم من جيل الى جيل ومن شعب الى شعب ومن فرد الى فرد حسب الثقافة التي تلقاها الفرد وحسب العادات والتقاليد والبيئة والظروف التي تحيط به، فالفرد قد يلجأ الى القتل والسطو والنهب وقطع الطريق وهناك من يلجأ الى الكلمة للتعبير عن حالته النفسية عن أحاسيسه وما يعتلج بداخله ولنأخذ مثالا مغايرا لحالة عنترة احد الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي الشنفرى.

هذا الشاعر حالته مغايرة لحالة عنترة تماما فقد رأى ان السبيل الوحيد لإثبات ذاته هو الانفصال والتمرد عن القبيلة شأنه في ذلك شأن بقية افراد المجموعة التي كان يتزعمها عروة بن الورد..

يقول الشنفرى في لإميته:

ولي دونكم اهلون سيد عملس
وارقط زهلول وعرفاء جيأل

ولنا أخذ مثال آخر..

قال الاحمر السعدي احد قطاع الطرق في العصر الاموي وكان لصا فاتكا:

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى
وصوت انسان فكدت أطير

فلنعمل النظر جيدا في هذه الابيات سنجد أن احساس الشاعر بالانتماء والغربة بين قومه جعلته يستعيض بالحيوانات التي وجد الانس وأحس بالأمن معها عن بني جنسه الذين استوحشهم وشأن هذا الشاعر شأن بقية الشعراء الصعاليك والذين اعلنوا انفاصلهم وتمردهم عن قبائلهم لإثبات وتحقيق ذواتهم.

والكلام الذي اوردناه وهذه النماذج والامثلة ماهي إلا تمثيل للنفس البشرية، فالأفراد سواء كانوا عربا أو غير عرب جبلوا على غريزة واحدة.

والآخرون في هذا العالم ماهم إلا نحن ولكن في صور مختلفة، وإن كان هناك اختلاف فهو في الثقافات..

ولو عدنا الآن الى نقطة البداية، أو الى محطتنا الاولى لوجدنا سؤالا لايزال تائها وهو : ما الدوافع .. ما المسببات التي حولت ذلك الرجل الى مجرم؟ أليس المجتمع والبيئة التي تحيط به هي ماجعلته يتحول الى مجرم حقيقي؟

قد يعترض البعض على الرأي هذا ويقول كيف؟

ان احساس الرجل بالضياع وباللا انتماء وسط مجتمعه وفقدانه لحريته واستقلاله برأيه ومعاملة هذا المجتمع الذي يقطن فيه وهذه البيئة التي تحيط به على انه "لا انساني" هو ما جعله يتمرد ويقوم بجرائمه التي قام بها ليثبت ذاته ويحقق له مكانة بين مجتمعه حتى ولو كانت بالاجرام.

وللتفصيل نسوق كلاما من كلام احد فلاسفة العصر الحديث ورواد الحرية "جان بول سارتر" صاحب الخطوط الفلسفية الثلاثية (الحرية ، المسئولية،، الالتزام ،) ان الانسان يستطيع إثبات وجوده عن طريق الفعل، فالفعل هو محاولة لتغيير الحالة الراهنة لتحقيق حالة آخرى مغايرة، ففيه إلغاء لشيء واثبات لشيء آخر وليس أي سلوك يسلكه الانسان فعلا، فقد نرى الكرسي يقع او إنساناً ينزلق فهذا سلوك وليس فعلا، لأن الفعل قدرة على تغيير أوضاع تؤثر في عالم الموجودات وقد يضيق الفعل وقد يتسع، قد يكون تحية عابرة وقد يكون معركة تقتل فيها مدينة بأسرها، وسارتر لا يقيم قيمة الفعل بما يترتب عليه من نتائج وانما المهم عنده ما هو عند سابقه (كانط) ان يصدر الفعل عن حريتنا وعن إرادتنا فالفعل الانساني يفترض الحرية وهو تعبير عنها وينتهي سارتر الى القول بأن الحرية ليست مجرد صفة للوجود الانساني بل انها قوام هذا الوجود وقد يحاول الانسان ان يهرب من حريته ويسعى لإيهام نفسه بأنه موضوع وشيء كباقي الاشياء وحتى في هذه الحالة اي عدم وعيه بحريته وتخليه عن ارادته فإنما يكون حرا وذلك لانه اختار عدم الاختيار.

انه الكائن المحكوم عليه بالحرية وهو لا يستطيع ان يهرب من حريته لذلك يتسع مفهوم الحرية عند سارتر ليشمل الشعور والعاطفة بالإضافة الى الفكر والوعي وليس هناك شروط لتحديد أي الافعال خير من غيره إلا مقدار صدورها عن حرية فاعلها، وليس هناك اسوأ من حالة النكوص عن المسئولية وتخلي الذات عن حريتها حين تقبل كل ماهو معطى لها جاهز.

وبعد هذا الاستطراد ننتقل الى المحطة الثانية من الحكاية وهي موضوع موت ذلك الرجل..

ان الرجل ظل يحدث نفسه بأنه سيموت وبأنه سيتجمد من البرد ولم يكن يعلم بأن ثلاجة ذلك القطار لم تكن تعمل اصلا؟؟

ماذا يسمى هذا السلوك أو كيف نفسر هذا الشعور علميا؟؟

يسمى هذا السلوك في علم النفس (بالايحاء الذاتي) وفي المنطق(الخداع الذاتي) ويطلق عليه الفيلسوف سارتر(خداع النفس أو سوء الطوية).

وقبل هذا وذاك قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم – معلم المناطقة والفلاسفة والنفسانيين – في الحديث: (اذا حدثت النفس خاليا فاكذبها) اي من اجل الا تثبط من عزيمتها، وفي هذا نستشهد بقول لبيد بن ابي ربيعة:

واكذب النفس اذا حدثتها
ان صدق النفس يزري بالامل

ويقول نافع بن لقيط:

وإذا صدقت النفس لم تترك لها
املا ويأمل ما اشتهى المكذوب

من هنا نجد أن العامل النفسي ومسألة الايحاء الذاتي من اهم الاسباب لنجاح الفرد وفشله وسعادته وشقائه.

فالبائس لاينبغي عليه ان يقول لنفسه انه بائس والفاشل كذلك لاينبغي عليه ان يحدث نفسه بأنه فاشل، بل العكس من ذلك فالكذب على النفس مسألة هامة قد يجهلها الكثير من الناس وحتى يستطيع الفرد منا ان يتخطى الصعاب والعوائق وينتصر على لحظات الضعف التي تنوبه بين الفينة والاخرى عليه ان يكذب نفسه أن حدثها.

ونحن نعلم ان الكذب محرم قطعا وهذه قاعدة دينية واخلاقية ولكن شذ هذا الكذب "اي الكذب على النفس" عن هذه القاعدة فصار هذا الكذب كذبا حلالا ومثله ومثل هذه القاعدة كمثل السحر والذي شذ عن قاعدته السحر الحلال.

وليس مهماً ماكنا.. وليس مهماً مانكون. بل المهم هو أن نكون أو ماذا سنكون..؟؟

آفاق

...مع وقف التنفيذ!!

□ توقعت المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة «الألبسكو» أن يستغرق العرب الميامين ثلاثة عقود للقضاء على الأمية المتفشية في بلدانهم، والتي يصل عدد الأميين فيها حالياً إلى سبعين مليون عربي دون حاجة إلى حساب الخُردة.

ولو عدنا بالذاكرة قليلاً إلى الوراء ونفضنا عنها ما تراكم من غبار المعارك التي لم تنجل واحدة منها عن نصر مؤزر لتبين لنا أنه منذ منتصف القرن الماضي على الأقل والمعركة ضد الأمية على قدم وساق، ولكن «محلك سر»، فجميع الأهداف والمواقيت الزمنية ألحقت هزيمة نكراء بحسابات الحاسبين وتنطعات وتطلعات الحالمين.

إن السبعين مليون أمي المشار إليهم ليسوا سوى إذن الجمل، فمثل عديدهم على الأقل ممن يفكون الخط ليسوا سوى أميين مع وقف التنفيذ، فهم يعتبرون القراءة والكتابة عبئاً عليهم لا يشرفهم تفعيله ولا يستفيدون منه فائدة تذكر، بل إنه يسبب لهم عقداً نفسيةً بسبب معاناة التحصيل في الطفولة، كما يقولون.

وقد زرت صديقاً مفترضاً في منزله العامر بالتحف والرياش وأحدث الأجهزة، فلم أر كتاباً في تلك «الهلمّا» المتزاحمة، ولمّا سألته عن ذلك كان جوابه : «أعوذ بالله، وما دخلي أنا بالكتب ووجع الدماغ»، وعقّب بلسان الظافر : «باب تجيك منه الريح، سده واستريح».

فضل النقيب

لم أجر جواباً على هذا السفه الفصيح، ولكنني في نفسي أخذت أردد دون أن أقصد شيئاً :

إذا نطق السفيه فلا تجبه
فخير من إجابته السكوت

ولا أقصد بالسفيه هنا صديقي المفترض – حاشا لله – وإنما هذا الواقع السفيه الذي يعد الأمية مغنماً لا مغرماً.

وتروى الأحاديث عن الأمين الذين راكموا الملايين وشيدوا العمارات وامتلكوا الأساطيل، ثم يعرّج المتحدثون من حزب الأمية على الشتات الذي لحق بفلان الجامعي وبفلان الآخر الملقب بـ «دودة الكتب» وفلان الثالث الذي ينام على حصير الجرائد، وكيف أن زوجاتهم يطلبن الطلاق ويملؤهن الحنين للفراق، لأنهم عجزوا عن تلبية مطالبهن التي لا تنتهي، والتي يوفرها أبسط أمي في طرفة عين، كأنه يمتلك خاتم سليمان، مفتاح مملكة عالم الجن.

وفي المجالس تكتشف العجب العجاب، فإذا ما ناولت جليسك جريدة ليقرأ خبراً ما أبعدها أولاً عن عينيه مسافة أشبار، في حركة مدروسة ليقول لك بعد ذلك إنه لا يرى الحروف، وأنه قد نسي نظارة القراءة في البيت، علماً أنها لا توجد نظارة ولا يحزنون، والذكي منهم يربت على ظهرك وهو يقول : يالله جيب الخلاصة من الآخر.

وكما أن هناك في عالمنا العربي بطالة مقنعة محسوبة زوراً وبهتاناً على سوق العمل، فهناك – أيضاً – أمية مقنعة قد تكتشفها في خريج جامعي أو حامل دكتوراه ، لا يستطيع كتابة شكوى أو عرض حال، ويقول لك : «الله يا أخي، أسلوبك جميل، وأنا أقرأ لك كل يوم، وأريد أن تكتب لي الموضوع الفلاني بقلمك السيال»، تنطلي عليك الحيلة ويركبك الغرور فتقوم بما كان عليه أن يقوم به... الخ.

النكتة التي دعتني إلى الكتابة هي القول أن الأمية تتناقص والأميين يتزايدون، وذلك نسبة إلى الزيادة السكانية، ولا أدري – على ضوء توقعات «الألبسكو» – هل نستطيع قلب المعادلة التي تغلبنا منذ أكثر من نصف قرن؟

وجهة نظر

حالة عيدية!

إبراهيم المعلمي

● أحجمت عن الكتابة خلال إجازة العيد لسببين، وجدت فيهما ضالتي أو شماعتي لتبرير حالة الاضطراب والتشتت الفكري والعجز عن استحضار الفكرة التائهة التي يفترض أن تكون عيدية بلباس فرائحي وبروح مرحه وبمضمون يناجي أسباب وعوامل البهجة والسرور ويحاكي الابتسامات وحرارة القبل العيدية.

● وبما أن العيد قد انقضى وانطلقت سبلته، وعاد الجميع لممارسة روتين الحياة اليومية المعتادة خلال أيام العام.. وبما أني كذلك قد استجمعت بعضاً من شتات أفكاري، فلا بأس من أن أعود للتواصل معكم على نحو من التساوي في مقاييس الحالات النفسية والروحية والمادية والفكرية، حتى يتحقق بعضاً من الانسجام والقبول وحتى لا أتحمل وزر إفساد اللحظات السعيدة وتعكير صفو الخلوة والفرحة خلال أيام العيد.

● ولكي لا يفهم قصدي على نحو مغاير أو يساء فهمي بصورة توحي بأن عزلتي أو إعتزالي المؤقت عن الكتابة اليومية نتاج خصام غير قابل للتسوية مع العيد أو المناسبات الفرائحية المماثلة.. أجدني ملزماً بالعودة إلى توضيح السببين اللذين علقت عليهما حالة التقاعس التي مارستها بالقطيعة خلال أيام العيد.

● ولعلي قد أوحيت بذلك في سياق السطور السابقة، فالسبب الأول هو التزامنا بالعمل التحريري اليومي بصحيفتنا ((الثورة)) حتى تستمر في الصدور وتصل إلى كل قرائها ومحبيها صبيحة كل يوم خلال إجازة العيد.. والسبب الثاني، وهو الأكثر تأثيراً أو الأشد وطأة يعود إلى قناعتي بالمثل القائل ((لتقل خيراً أو لتصمت)) ولأن المرء لا يستطيع أن يتأكد من أن ما قد يكتبه في مناسبة عيدية مفعمة بالأفراح، قد يكون خيراً.. بمعنى ساراً ومفرحاً.. فالأولى به أن يصمت! وهو مالم أكن متأكداً منه سيما وأن ما يجري على الساحتين العربية والإسلامية والعالم لا يخلو من تأثير على الحالة النفسية وهو لم يترك في النفس والقلب والفكر مجالاً للفرح أو مساحة لإسعاد الآخرين.

وكل عام وأنتم بخير .

almalemi@hotmail.com